((ساطع الحصري – مفكراً تربوياً))

د. عبد الكريم محسن الزهيري
كلية التربية / جامعة الأنبار
قسم العلوم التربوية والنفسية

أهمية البحث:

الأمة العربية تزخر بتراث ثقافي وحضاري ميزها عن سواها من الأمم الأخرى، وان من الطبيعي لهذا التراث وتلك الثقافة رجال عظماء وعلماء مصلحون بذلوا الكثير من أجل أمتهم والحفاظ على تراثها العريق الذي أرادوا صيانته والحفاظ عليه من الاندثار والتبعثر (٢٧:ص١٣-١٤).

لقد كرس الحصري جل جهوده واهتماماته لخدمة الأمة العربية من خلال قضاياها الفكرية والتربوية ودعواته إلى القومية العربية خوفاً من ذوبانها في شخصيات أخرى، كان قلمه يبث روح الثقافة والتفاؤل في نفوس الناس، بعد أن انتشر اليأس بفعل عوامل السيطرة والتخلف (٦:ص١١٦-١١٩).

لقد قضى حياته متنقلاً بين ولايات الدولة العثمانية والبلاد العربية وأوربا مجنداً حياته لتحقيق أهداف الأمة العربية، فقد كان مصلحاً وإدارياً وخبيراً تربوياً في كافة مجالات التربية والتعليم.

لقد تأثر بالأوضاع الاجتماعية والتاريخية التي عاشها فترجم بعضها من اللغات الغربية إلى العربية بعد روضها وجعلها تتلاءم وحاجات المجتمع العربي في مجالات طرائق التدريس والتربية وعلم النفس (١٠:ص٣٣٠).

بذل جهوداً جبارة وكبيرة في بناء وتأسيس نظام تربوي سليم قائم على حاجات ومتطلبات المجتمع العربي وظروفه الاجتماعية والسياسية، وبذلك طالب باستقلال النظم التربوية في كل من سوريا والعراق بعد أن كانت تحت السيطرة العثمانية ودول الاحتلال، حيث حدد هذه الدعوة في ضوء سلبيات النظام التربوي والسياسة التربوية للدول المسيطرة على الأمة العربية.

كما انه طالب بالاطلاع على الأنظمة التربوية العالمية والإفادة من تلك الأنظمة التي تتلاءم مع أحوال ومتطلبات المجتمع العربي.

فنهض في المدرسة ومحتواها من طالب ومعلم ومنهج دراسي ومتطلبات أخرى. فأهتم بالتعريب وأكد على ثقافة الأمة العربية والاهتمام بالآداب والفنون. وطالب بالتعلم لكل أفراد المجتمع واعّده تكاملاً لبناء الإنسان الجسمي والعقلي والأخلاقي (١٨:ص٩٢). وبذلك اعّد المدرسة المؤسسة الاجتماعية الفعالة التي من خلالها تحقق التغيرات والأهداف القومية، فوضع المناهج القومية التي تعوض الماضي وتساير الحاضر وتناغم المستقبل في ضوء حاجات الأمة والمجتمع. فأكد على الثقافة القومية المشتركة الذي يعتمد الوحدة والتنوع حسب الظروف البيئية والجغرافية والسكانية لأي قطر من أقطار الأمة العربية.

وتتضح أهمية هذه الدراسة أيضاً من اجل تأصيل وتقوية الفكر الثقافي والتربوي العربي ومواجهة التحديات الأجنبية والسيطرة الاستعمارية وبذلك يمكن تحديد حل لمثل هذه المشكلات التربوية والثقافية.

وكذلك رفد المكتبة العربية ببحوث تتناول بعض الشخصيات الوطنية والتربوية التي بذلت الكثير من اجل إصلاح الأنظمة التربوية وتهيئة الفرص اللازمة من اجل النهوض تربوياً ومواكبة التقدم العلمي.

مشكلة البحث:

كانت الأمة العربية تحت السيطرة الأجنبية، وكانت هذه الأمة تبحث عن أسباب الضعف والقصور في نفسها باحثة عن مواطن القوة والتحرر ومع علمها بان القصور الحضاري والثقافي كان عاماً، فقد كان التخلف التعليمي والجمود الفكري من أهم مظاهر هذا القصور، فقد كانت الدولة العثمانية مسيطرة على الدول العربية وبذلك كانت الحياة الفكرية تعاني كثيرا من قلة المدارس التعليمية مقارنتاً بسعة الولايات، علاوة على ضعف المستوى الفكري والتربوي، واستخدام لغات غير العربية، واعتماد طرائق التدريس البدائية القديمة التي تعتمد على التلقين القسري وخلو هذه المناهج من النشاطات الصفية التي تبعث الحيوية والنشاط في نفوس الطلبة، كما أن الدولة العثمانية، كانت قد ركزت على نوع واحد من المدارس والمعاهد التعليمية ألاّ وهو التعليم القسري، لذلك جاءت محاولات التحديث والتجديد والتوسع في المجالات التربوية محصورة لصفوة من الطلبة وأصحاب المدن الكبيرة وليس لأبناء المجتمع والشعب كافة.

أن قلة انتشار المطبوعات العلمية والثقافية وغياب الصحف والمجلات العلمية والمباريات الأدبية ومنع دخول أية صحيفة عربية أو أجنبية إلاّ بموافقة ورضا النظام العثماني وتقديم الولاء له.

لذا فقد نهض الحصري وبادر بتغيير الاتجاهات التربوية وأنظمة التعليم في العراق وسوريا بعد أن كانت تحت وطأة الاحتلال والتخلف.

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي تعرف على المبادئ والأسس التي نادى بها ساطع الحصري في بناء فكره التربوي.

حدود البحث:

دراسة الفترة الواقعة بين منتصف القرن التاسع عشر حتى وفاته ١٩٦٨م، ويقتصر البحث الحالي التعرف على الفكر التربوي الذي قدمه ساطع الحصري لأبناء الأمة العربية.

تحديد المصطلحات:

الفكر : مفهوم الفكر في اللغة يعني التأمل والاسم (الفكر) و (الفكرة) والمصدر الفكر بالفتح وبابه نصر و (أفكر) في الشيء و (فكّر) فيه التشديد و (تفكير) فيه بمعنى ورجل (فكير) بوزن سكيت كثير التفكير (٧:ص١٠٩). والفكر يعني أيضاً أعمال الخاطر في الشيء (١٦:ص٦٥). والفكر في الاصطلاح يعني اسم العملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء كان قلباً أو ذهناً بالنظر والتدبير لطلب المعاني المجهولة في الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء (٥:ص١٥).

الفكر التربوي:

يعرفه سعيد إسماعيل: على أنه (صوره من صور الفكر على وجه العموم، وهو حصيلة لحركة المجتمع في بيئته الأساسية، هو إفرازها على صفحات تصور ظروفه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتشكيل اتجاهاته ومساراته بما تتخذه هذه الظروف من مسارات واتجاهات) (٤:ص٥).

ويعرفه الزهيري: بأنه مجموعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها الفرد وتتركز في عقله فتكون اتجاهاً واضحاً يحدد سلوكه مستقبلاً (٢٩ : ص٣٠).

ويعرفه سعيد مرسي أحمد: بأنه سجل للأفكار في زمن ما ومكان ما وقد عبر عن نفسه في تعاليم وكتابات ولدّتها العقول اتسمت بالاتزان والحكمة والعقلانية في إطار من التأمل والنظر ابتغاء وجه الحق والخير والعدل والجمال (٩:ص١٩).

منهجية البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي المقارن الذي يعتمد التحليل والتفسير المنطقي القائم على الاستقراء والاستنتاج وكشف الحقيقة ضمن خطوات عديدة أهمها:

١. تحديد مفهوم الفكر التربوي عند ساطع الحصري.

٢. البحث المتأني في كتاباته والروايات الخاصة به من خلال مؤلفاته وما كتب عنه.

٣. تحليل النصوص بطريقة علمية واستخراج المفاهيم والمبادئ التربوية منها وتوظيفها في خدمة موضوع البحث.

٤. استعان الباحث بخلفيته التربوية وكتاباته عن مفكرين آخرين سبق أن بحث في فكرهم التربوي.

٥. روض الباحث الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية التي كانت قائمة في العراق أبان حكم الدولة العثمانية والاحتلال البريطاني.

٦. أما بخصوص جمع المادة العلمية لهذا البحث فان الباحث قد وجد من المصادر والمؤلفات التي دونها المفكر ساطع الحصري وما كتب عنه أعدت كمصادر أولية في جمع مادة البحث.

ولادته ونسبه:

هو ساطع بن محمد هلال بن السيد مصطفى الحصري، ولد من أب وأم عربيين في الخامس من آب عام ١٨٨٠م ، في مدينة صنعاء اليمن، وقد جاء أجداده من الحجاز وسكنوا مدينة حلب السورية منذ القرن التاسع للهجرة ، ويرجع نسبه إلى الإمام علي أبن أبي طالب (كرم الله وجهه) كما جاء في شجرة النسب التي احتفظ بها والده (٣١ص١٠-١١).

لقد حصل والده على الشهادة (الإجازة) بعد دراسته للعلوم الدينية والعربية في المدرسة الإسماعيلية في حلب والأزهر الشريف في القاهرة وبعدها عين قاضياً شرعياً في كل من دير الزور وحماة السوريتين ورئيساً لمحكمة الاستئناف في صنعاء مع نهاية عام ١٨٧٩م وبقي فيها لمدة سنتين حيث ولد ساطع هناك (١١:ص٤٤٨).

تعليمه ودراسته:

لقد تنقلت أسرة ساطع الحصري كثيراً في زمن طفولته، فتعلم اللغة التركية والعربية والفرنسية وبعض العلوم المدرسية الأخرى عن طريق أفراد أسرته الذين سبقوه في التعلم في المدارس، بعدها تمكن من دخول (المدرسة الملكية الشاهانية)* في اسطنبول عام ١٨٩٣م التي قضى فيها سبع سنوات وحصل خلالها على الدراسة المتوسطة والإعدادية والعالية وتخرج منها عام ١٩٠٠م بعد أن حصل على شهادة العلوم السياسية والإدارية.

وقد تفوق في اللغة الفرنسية مما حذا به إلى دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات وقد سمي بـ (أرخميدس) وذلك لتفوقه، ثم درس الهندسة التحليلية وعلم النبات والتاريخ الطبيعي علاوة على تحنيط الطيور والعلوم الحديثة، ثم بادر إلى كتابة بعض البحوث والمقالات العلمية الحديثة.

حياته العملية:

بعد تخرجه اشتغل بمهنة التعليم فعين مدرساً في ثانوية (يانيه) التي جاء اسمها من اسم المنطقة التي تقع ضمن حدودها كولاية وبقي فيها خمس سنوات وألف عدد من الكتب المدرسية في العلوم الطبيعية وأسس متحفاً للعلوم الطبيعية، حيث وافقت وزارة المعارف العثمانية على الإفادة من هذه المؤلفات وتدريسها في المدارس الابتدائية والثانوية.

عين مأمور لوظائف إدارية بعدها قائمقام في قضاء (ران وويشته) وبعد سنتين نقل إلى قضاء (فلورينه).

وبما إن هذه المدن كانت قريبة من الولايات الفرنسية والألمانية فقد كانت فرصة اتصاله الثقافي العلمي ومتابعة مايصدر من بحوث علمية وتربوية سهلة ولا يلاقي فيها العناء والتعب.

وبعد ثورة ١٩٠٨م وإعلان المشروطية الثانية أوفد الحصري إلى (مناستر) لاستقبال الوفود المهنئة بإعلان الدستور من قبل حزب الاتحاد والترقي، فألقى عدد من الخطب تميزت بالحماس وبيان دور قادته في إعداد هذا الدستور.

عاد إلى اسطنبول بعد أن قدّم استقالته من وظيفة قائمقام والعودة إلى مزاولة مهنة التعليم، فأصدر مجلة علمية اسماها (أنوار علوم) التي تركها بعد فترة لعدم تقبلها من قبل الناس وذلك لضعف الوعي وشيوع الجهل بل كانت أفكار الناس متجهة نحو الجوانب السياسية فعين أستاذاً في جامعة اسطنبول (دار الفنون) ثم أستاذ لعلم الاجتماع، ثم أستاذاً لعلم الاجتماع والتربية في مدرسة (دار الخلافة العلمية) ودار المعلمين العالية، ثم مدير دار المعلمين العالية فغير مناهجها وادخل دروس علم النفس وطرائق التدريس واختار أجود الأساتذة للتدريس في هذا المعهد والذين يتمتعون بثقافة تربوية وعلمية عالية.

---

* تأسست هذه المدرسة في اسطنبول عام ١٨٥٩م وكانت تؤكد على العلوم المدنية والرياضيات وعلوم الحياة وبعدها نقلت إلى انقره عام ١٩٠٩م والتي سميت فيما بعد (كلية الإدارة والعلوم السياسية).

ثم أوجد مدرسة للتطبيقات وألحقها بدار المعلمين، ثم أصدر مجلة التدريسات الابتدائية التي كانت تسمى (تدريسات ابتدائية مجموعة س) التي كانت مقالاته تعالج كثير من المشكلات التربوية التي استمد مادتها وأفكارها من نظريات المدارس الأوربية والغربية والذي أطلق عليه لقب (أبو الأتراك في التربية وطرق التدريس) (١١: ص٤٤٩-٤٥٠).

سافر خلال أربعة أعوام إلى جنيف وزيورخ وباريس ولندن وبروكسل وميونخ وبرلين وايطاليا ، واطلع من خلال زيارته إلى طرائق التدريس وحالة المدارس ومناهجها هناك.

شارك في عضوية المؤتمر الدولي للتربية الأخلاقية في (لاهاي) والتقى مع الكثير من الشخصيات التربوية.

لكن نتيجة لبعض الخلافات التي حصلت بينه وبين وزير المعارف العثمانية حول عدم اهتمام الآخر بتطبيق الأنظمة التربوية الفرنسية ومعارضته لها، لكن الحصري وجد فيها سبل الفائدة والإصلاح التربوي والفكري. قدم الحصري استقالته من إدارة دار المعلمين العالية وعين مدرساً في المدرسة الملكية ثم أسس (المدرسة الحديثة) و (عش الأطفال) و (دار المربيات). ثم بادر بإصدار مجلة (التربية) التي كانت تنشر وتطبق الطريقة الصوتية في تعليم القراءة، وبما انه عضواً في جمعية المطبوعات العثمانية فقد تقلد منصب رئيس مؤتمر المطبوعات.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى غادر إلى سوريا فعين مفتشاً عاماً للمعارف ثم مديراً للمعارف في مجلس المديرين (مجلس الوزراء) وبعد أن حصلت سوريا على الاستقلال أصبح وزيراً للمعارف حتى الاحتلال الفرنسي فبدأ بإزالة آثار التتريك في ميادين اللغة والأدب والتعليم ودواوين الدولة الأخرى.

ونتيجة لهذا العمل شنت الدولة العثمانية حرباً على هؤلاء فقد أدركوا بان لا بقاء لإمبراطوريتهم إلا بطمس معالم الحياة لهذه الأمة. ففرضوا اللغة التركية على جميع المؤسسات.

لكن الحصري ونتيجة لنمو فكرة الأهداف القومية في فكره فقد ألف الكتب واعد المناهج الدراسية، وشكل لجنة لإعداد المصطلحات العلمية العربية، كما ساهم في تأسيس المجتمع العلمي العربي السوري (مجمع اللغة العربية حالياً) كما ساهم في عقد مؤتمر علمي خاص بالمعلمين ودراسة شؤون التربية والتعليم وأسس مدرسة الحقوق وكذلك مدرسة الطب وزار القاهرة للاطلاع على مناهجها كما فوضته الحكومة السورية للتفاوض مع الجنرال الفرنسي (غورو) الذي احتل سوريا.

غادر الحصري سوريا مع الملك فيصل متوجها إلى ايطاليا ثم الأستانة لعرض قضية الاحتلال الفرنسي على الأتراك ولما لم يتحقق شيء بخصوص ذلك عاد إلى ايطاليا، ثم أعطي عرش العراق إلى الملك فيصل فالتحق الحصري بالملك في بغداد بعد أن جلب معه من مصر الكثير من المقررات الدراسية والكتب المتبعة في المعارف المصرية.

فقد عينه الملك مستشاراً له في شؤون التربية والتعليم ثم معاوناً لوزير المعارف فأستاذاً في دار المعلمين العالية ثم رئيساً لكلية الحقوق ومديراً للآثار القديمة ومديراً للتدريس والتربية العامة ثم مديراً للآثار

القديمة حتى وقت تجريده من الجنسية العراقية إثناء ثورة رشيد عالي الكيلاني القومية (١٢:ص٥١٢-٥٢١).

لقد أنجز الحصري الكثير من اللوائح والمشاريع القانونية التربوية والتي كانت تتعلق بالإدارة والمناهج والتفتيش في كل من المدارس وكلية الحقوق ودور المعلمين ووزارة المعارف ومديرية الآثار خلال بقاءه عشرين عاماً في بغداد. وقام بالاتفاق مع الملك بإنهاء خدمات المستشار البريطاني لشؤون المعارف (فارل) الذي كان بمثابة الند لخطط الحصري التربوية وبذلك قام الحصري بإلغاء القوانين الغربية المتوارثة واحل محلها المناهج والخطط التربوية العربية ذات الأهداف القومية والتي تحقق مطالب المجتمع العربي وتنمي قابليات أفراده (١٣:ص١٩-٢٠).

إنجازاته التربوية في العراق:

لقد قام الحصري خلال تواجده للسنوات العشرين في العراق بأعمال تربوية كثيرة منها:

إلغاء منهج الدراسة الابتدائية الذي أقرته الإدارة البريطانية لمعارف العراق واستبداله بمنهج آخر. وكذلك القضاء على ثنائية التعليم التي كانت تقسم مرحلة التعليم إلى مرحلتين احدها أولية ابتدائية وأخرى أولية مستقلة.

وكانت مفردات وقواعد المنهج موضوعة حسب متطلبات البلد وحاجته وادخل مادتي المعلومات الأخلاقية والنشيد، وجعل تدريس مادة اللغة الانكليزية في الصف الخامس بدلاً من الصف الثالث الابتدائي.

كما شارك في وضع قانون المعارف لسنة ١٩٢٩م وأنظمة الامتحانات لسنة ١٩٣٠م، وكذلك وضع خطة خمسيه من اجل بناء معارف عراقية تربوية وعلمية مستقبلية في ضوء متطلبات المجتمع المعاصر. كما أصدر قانوناً لتأليف مجالس المعارف في المحافظات وزودها بتعليمات وإرشادات الواجب إتباعها والتي خول فيها مديري المناطق صلاحيات واسعة، وألزم المفتشين إتباع خطة نموذجية لزيارة المدارس، واهتم بتدريب المعلمين والمعلمات أثناء الخدمة وعقد الاجتماعات وإلقاء المحاضرات من اجل تحديد ورفع المستوى العلمي والثقافي والتربوي لهم (١٤:ص٩٦-١٠١).

كما حقق ديمقراطية التعليم وحقق مبدأ تكافؤ الفرص لأبناء الشعب كافة، كما ألغى نظام المدارس الطائفية الدينية والأجنبية وخصوصاً في محافظة الموصل.

اهتم بالمدارس الرسمية وزودها بالأثاث الجديدة ووسائل الإيضاح والخرائط ونقل هذه التجربة إلى المحافظات الأخرى.

كما انه ألف القراءة (الخلدونية) وهي قراءة للصف الأول الابتدائي جمع مفرداتها من البيئة المحلية، مستفيداً من أراء المربي الألماني (فروبل) والمربية الايطالية (ماريا منتسوري) كما اوجد مرشداً يسهل على المعلمين الإفادة منه أثناء التعليم.

لقد أصدر اثنين وثلاثين عدداً من مجلة التربية والتعليم وألف مجموعة من الكتب المنهجية منها (مبادئ العلوم والزراعة والأشياء والصحة جزئين لأصول التدريس) كما طبق عدد من الاختبارات النفسية والعقلية وقارنها بنتائج اختبارات الذكاء للأطفال الأجانب فوجد إن هذه القدرات لا تختلف.

كما اهتم بالجوانب الكشفية فأسس (جمعية الكشافة العراقية) ووضع لها الشارات الخاصة بها ووضع لها أنظمة وقوانين خاصة بها.

وأكد على أهمية الإحصاء التربوي فقام بإصدار البحوث والجداول التي تحدد النسب المئوية والأرقام العددية للطلبة والمالية (١٢:ص٥٢٩-٥٤١).

وعندما تولى مهمة مديرية الآثار القديمة، عمل على تنظيمها وإدارتها، فأصدر القوانين وبعض اللوائح ، كما انه ساهم في تأسيس بعض المتاحف في بغداد وبعض المدن الأخرى، حيث أصدر قانون الآثار العراقية العام سنة ١٩٣٦م، كما انه سافر إلى بلدان مختلفة للتعرف على الآثار العراقية وكيفية حفظها وتنظيمها فقد زار اسبانيا ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين في عام ١٩٤١م غادر الحصري العراق واستقر في لبنان حيث اصدر جزئين عن مقدمة (أبن خلدون) (١٥:ص٥٨-٦٨). شارك في مؤتمرات ابن خلدون باسطنبول وتونس. كما أنه شارك بدعوى من الحكومة السورية كمستشار في شؤون التعليم ولمدة ثلاث سنوات فوضع المقترحات ومنها تنظيم إجراءات التعيين وخصوصاً تشكيل الوزارة والتعليم الابتدائي والثانوي وإعداد المعلمين والمهني والتعليم العالي وتنويع المدارس وتكييف مناهجها وبناء المدارس وقوانين الامتحانات والتفتيش وتوثيق الصلات بين سوريا والبلدان العربية، ومشروع الاتفاقية بين سوريا وفرنسا، وإجراء مقارنة إحصائية بين تطور التعليم في العراق وسوريا. وبعد انتهاء فترة التعاقد مع الحكومة السورية، ذهب إلى مصر فتولى التدريس في معهد التربية (كلية التربية / جامعة عين شمس حالياً) ثم عين مستشاراً فنياً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ومن خلال هذه الفترة اصدر ستة أجزاء للحولية الثقافية العربية، كما انه ساهم في إنشاء معهد الدراسات العربية العالية.

سافر إلى المملكة العربية السعودية بدعوة من حكومتها من اجل إمكانية إنشاء جامعة سعودية.

حضر احتفالات الكندي في العراق، وحصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من الحكومة المصرية، ثم أعيدت إليه الجنسية العراقية وأصبح أستاذاً غير متفرغ في جامعة بغداد (١٩:ص١٠).

كانت مجموع المؤلفات التي تم تأليفها ما يقارب سبعين مؤلفاً كانت في الجوانب السياسية والقومية واللغة والتاريخ والادب والثقافة والاجتماع وطرق التدريس ومن ضمنها مؤلفات مدرسية ومذكرات خاصة. وهناك بعض الردود ومحاورة بعض المفكرين العرب والأجانب في المجالات العلمية.

كانت أيامه الأخيرة زاخرة بالتأليف والدراسة حتى قل سمعه وبصره وقد وافاه الأجل في بغداد في اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الأول عام ١٩٦٨م بعد أن عاش ثمانية وثمانون عاماً قضاها في البحث والدراسة وخدمة الأمة في مجالها التربوي.

آراء الحصري في التربية والتعليم:

إن كثير من التربويين والمفكرين العرب يروا إن العرب ما زالوا يبحثون عن فلسفة حياتية توحدهم وتهديهم سواء السبيل، فقد اتخذ منهم اليسار المتطرف وآخرون تمسكوا بالمفاهيم الرجعية البالية، وفريق وقف ما بين هذا وذاك.

إن انعكاسات هذه الاختلافات تنعكس على مستوى مدارسنا الضعيف في النواحي الأخلاقية والروحية، وقد تكون الفلسفة تصلح لبيئتنا أو قد تتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف وقرآننا العظيم، وإنما هي تقليد أعمى للغرب (٢٠:ص١٠).

لقد تميزت آراءه التربوية والنظرية الفلسفية بما يلاءم حاجات المجتمع ومتطلباته الضرورية وارتباطها بقيم المجتمع الأخلاقية واتجاهاته الفكرية.

فقد أكد على الفكر التربوي المرتبط أساساً بالأسس الثقافية والاجتماعية للتربية وإدراك العلاقات والارتباطات بين التربية وبين الفلسفة الاجتماعية وكذلك مناقشة آراءه بخصوص التربية والمدرسة والأخلاق والعلوم والطبيعة الإنسانية والثقافة.

التربية .مفهومها وأهدافها:

التربية افعولة اجتماعية أي عملية اجتماعية ونشاط اجتماعي تحصل من تأثير الراشدين على الناشئين ومن نقل المكتسبات السابقة إلى الأجيال اللاحقة (٢١:ص١٤-١٥). ويقول بان التربية عملية واسعة الشمول ومتعددة الجوانب لكونها تتناول حياة الإنسان المادية والمعنوية بجميع مظاهرها المختلفة (١٢:ص٤٥٠-٤٥١). وان قوة المجتمعات البشرية لا تقاس بكثرتها العددية، بل تتناسب مع شدة الروابط التي ترتبط بعضهم ببعض، كما إن صلابة الأحجار والصخور لأتتبع حجمها، بل تتناسب مع تماسك أجزائها (١: ص٢٠٩).

وقد دعا إلى خلق امة عربية تتميز بقوة اجتماعية وبشرية متماسكة تتناسب في قوتها مع شدة روابطها الوطنية والاجتماعية والفكرية.

أكد على التربية العائلية العربية التي لم تستطيع أن تحقق أغراضها بصورة شاملة وسليمة بسبب ما تعرض له الوطن العربي من سيطرة واحتلال أجنبي.

أهمية المعلم:

يعد المعلم من أهم وسائل إنجاح العملية التربوية وتأدية المدرسة لرسالتها التربوية ، فأهمية وفاعلية المدرسة عند الحصري تقاس بمدى نجاحها في تحقيق الأهداف المرسومة لها.

فالمعلم هو مندوب المجتمع الكبير إلى المجتمع الصغير يسعى إلى تحقيق أهدافه الكبرى. فهو الذي ينفذ القرارات التربوية ويطبق المناهج والبرامج التعليمية والمقررات الدراسية المرسومة من قبل السلطات التربوية العليا.

وهو الذي يقوم ببلورة وصياغة هذه الأهداف حسب مستويات الطلبة لكي يستطيعوا هضمها وتقبلها والعمل على تنفيذها واقعاً عملياً وهو أيضاً من يسهم في غرس روح المواطنة الصالحة والمثل العليا من اجل تثبيت الأهداف الاجتماعية والأخلاقية وحثهم على حب العمل وخدمة المجتمع، وبذلك عد المعلم روح المدرسة ومحركها الفعال في جميع معاهد التربية والتعليم على اختلاف درجاتها وأنواعها (٢٣: ص١٢٦).

لقد طالب الحصري رجال المعارف بإصلاح المناهج والمعاهد التربوية ولا بد أن يرافقها أيضاً اهتماماً كبيراً في أمور المعلمين فالتغيير لا يحدث إذا لم يحدث تحسن في مستوى المعلم المادي والمعنوي والثقافي وإعداده إعداداً تربوياً صادقاً فأكد على انتقاء وانتخاب هيئات التدريس في معاهد المعلمين وإكسابهم الخبرات المهنية التي تساير التقدم العلمي، وتزويد هذه المؤسسات بحاجتها من اللوازم والاثاث والمختبرات وتخصيص الأقسام الداخلية والمدارس التطبيقية لطلبة هذه المعاهد.

كما أكد على أهمية عقد المؤتمرات والندوات الإرشادية والتوجيهية أثناء الخدمة لمسايرة التطور التربوي العالمي وطالب بتزويد مكتبات المدارس بالنشرات والكتب الحديثة لكي يطلع عليها المعلمين والطلبة.

المدرسة مؤسسة تربوية:

لقد اعد الحصري المدرسة بأنها مجتمع مصغر من نوع خاص، يحدث بين أفراده تفاعلات نفسية كثيرة وتتبادل فيه تقاليد مختلفة من جيل إلى جيل، والمدرسة هي أيضاً مؤسسة اجتماعية تحقق أغراض المجتمع، وتسهم إسهاماً فعّالاً في حركة التغيير والتطور الثقافي والعلمي والاجتماعي للمجتمع، فهي التي تغرس في نفوس طلابها حب الخير والتضحية واحترام العمل الحر والدفاع عن الوطن والتضحية في سبيله. ولذلك فقد صنف الحصري المدارس إلى ثلاث أنواع:

المدارس الابتدائية / وهي أول مراحل التعليم وهدفها تعليم الأطفال وتربيتهم من سن السابعة وإكسابهم المهارات الضرورية.

المدارس الثانوية / وهي المدارس التي تأتي بعد الابتدائية وهدفها تعليم المراهقين وتربيتهم، ومن واجبات هذه المدارس تزويد طلبتها بالمعلومات الفكرية والعلمية لغرض إعدادهم لبناء المجتمع مستقبلاً (١: ص١١).

المدارس العالية / وهي التي تهتم بتعليم الشباب وتساهم في رفع المستوى العلمي لهم وتكوين النخبة التي يحتاجها المجتمع، وأكد على أن المدرسة هي (مسرح الحياة) تتفاعل فيه العواطف والنزعات الفردية والاجتماعية وينتج عنها الأخلاق والجوانب الاجتماعية والتربوية، فالتربية ترسخ هذه الخصال عن طريق المدرسة والأنشطة التي تمارس من خلال هذه الفعاليات (٢٦:ص٩-١٠).

كما أكد على التعاون في ممارسة الألعاب والابتعاد عن روح الأنانية والسيطرة الفردية كي لا تفقد فائدتها وغاياتها الاجتماعية.

واهتم أيضاً بالتربية العسكرية التي تحدث في الثكنات العسكرية والتي أعدها المؤسسة التربوية الثانية بعد المدرسة، فالخدمة العسكرية أعدها من الوسائل المساعدة في غرس الجوانب الاجتماعية وزيادة الصلات مع الآخرين ونكران الذات.

الأصالة والمعاصرة:

بما إن التربية هي إحدى وسائل التغيير فإنها تتأثر بالصراع القائم بين المفهومين الحضاري والثقافي للماضي والحاضر. فالماضي بما يرثه من رصيد ثقافي وحضاري والحاضر بما يمليه من تحديات علمية وحضارية وأساليب حياة متطورة تمتاز بالدقة والسرعة والمستقبل بما نتوقعه وما سيواجهه من تحديات جديدة تفوق تحديات الحاضر. فدور التربية الحالية لابد من إجراء الانتقاء ورسم الحلول وإحداث التغيرات التي من شانها تطور الفرد والمجتمع الإنساني.

فقد نظر إلى الأصالة والمعاصرة بأنهما عنصران مهمان من عناصر الحياة وهما متلازمان وضروريان لبقاء الحياة، فالإبطاء والتأخير ليس من مصلحة الأمم وعليها الإسراع في التجديد ويقول: (علينا أن نسرع وان لا نجعل الأمور أن تسير سيراً طبيعياً، بل لابد أن تصل إلى مرحلة الهرولة على قدر الإمكان) ويوضح مفهوم التغير والتجديد بأنه عملية مستمرة في خلايا الكائن الحي تقوم على أساس التوازن ضمن الهيئة الأصلية للبناء القديم، والتوازن لا يبقى على وتيرة واحدة فحركة التجديد تبلغ أقصاها عند الكائن الحي في مرحلة الشباب وتكاد تنعدم في عهد الشيخوخة، عهد بقاء وتراكم المواد القديمة (٢٣:ص١٣-١٥).

فالحياة النفسية السليمة تكونت من تفاعل وتصارع الأحداث النفسية القديمة والجديدة وبتكرار الأحداث يكتسب الإنسان قابلية التفكير والتمييز والحكم على الأحداث. فالقديم هو الذي يفسح المجال للتفكير والمكتبات القديمة هي التي تمكن الذهن من الإبداع والابتكار والاختراع والجديد هو الذي ينفخ في القديم فيعطيه الحياة والقوة (٢٢:ص١٥-١٧).

فالقيم الاجتماعية يرثها الإنسان عن أسلافه، فيعمل على تعديلها والاضافة عليها بما يتلاءم وروح العصر، ثم يقوم بنقلها إلى الجيل الجديد، فلولا عمليات التفاعل والانتقال والتجديد بين حضارات الماضي والحاضر لما تقدمت البشرية ولبقيت راكدة جامدة وتعرضت للاضمحلال والاندثار.

فالقديم في تصوره هو البداية الدافعة للنزوع والبحث عن وسائل علمية وتربوية جديدة تكفل تحقيق متطلبات التطور والارتقاء في المجتمعات (٢٢: ص١٧-١٩).

الأسرة والتربية الأسرية:

اعتقد الحصري بان من الأسباب التي أدت إلى ضعف الخصال الاجتماعية عند أفراد المجتمع العربي تعود إلى النظام العام للأسرة وتفكك أفرادها وكون تربيتها بسيطة لا تقوى على تنمية روح الجماعة والتعاون والتضامن والتضحية والإيثار والتسامح وتقديم المصلحة العامة على الخاصة واحترام حقوق وحرية الآخرين، حيث إن الكثير من العوائل لم تعود أعضائها على السلوك الاجتماعي السليم وعدم الالتزام بآداب الطريق أو المحلات العامة أو حتى التحدث مع الآخرين، كما إن تهافت الشباب للحصول على الوظيفة وعدم رغبتهم في العمل بالمهن الحرة وهذا يعود إلى تربيتهم الاتكالية منذ عهد الطفولة، مما يسبب انعدام روح الاستقلال

والاعتماد على النفس. وهذا ما تخلفه بعض المخاطر المستقبلية على الحياة الزوجية، وعدم الاستقلال ما بعد الزواج وتربية الأبناء. لذلك فقد سبقنا الغرب في هذا المجال فقد انشأ النوادي وأسس الشركات التجارية من اجل العمل المشترك والتضحية والإيثار والتعاون المثمر (١:ص١٩٨-٢٠٢).

العلم والأخلاق:

لقد ركزت الكثير من النظريات العلمية على أهمية العلم ، فقد أكد بعضهم بان العلوم تحط وتنقص من قيمة الأخلاق، وان ما انتشر من فساد وظلم واستبداد ورذيلة هو نتيجة حتمية لانتشار العلوم ، أما القسم الأخر فقد رأى إن ظهور النظريات العلمية والتأكيد على الجوانب العقلية والفكرية بعيدا عن الحدس والتصور فأكدت على العلم. أما المجموعة الأخرى فقد أكدت على العلم والأخلاق معاً واعدتهما من ضروريات الحياة الجديدة حيث أكدت بان العلم لا يكون بدون الإحساس، ولا إحساس بدون الشعور بلذة العلم (١٧:ص٢٥٧-٢٦٠).

وبما إن التربية تستمد أصولها من روافد علمية متعددة فهي لا تعتمد على جانب العقل دون جوانب الإحساس ولا على جوانب الأخلاق دون العلم، بل هي مركبة شاملة تحدد فيها وسائل المعرفة بالسلوك والنظرة بالعمل.

لا يمكن النظر إلى الأخلاق أو العلم نظرة من جانب واحد فهي ذا وجوه متعددة فالعلوم قد تقدمت وقطعت أشواطاً بعيدة في جميع الميادين والاتجاهات، ولكن في الوقت نفسه، يرى أن الأخلاق لم ترتق بعد ولم تصل إلى منزلة العلوم والأفكار، فالعلوم تتولد من المناقشات العقلية والأفكار في حين إن الأخلاق تتكون من الحواس والعواطف (٢٨:ص٣٦-٣٩).

لذلك اعتقد بأن العواطف تعمل عمل المحرك الحقيقي في السلوك والدافع الأصلي في الإرادة، أما الأفكار فإنها لا تحرك الإرادة وإنما تنير لها الطريق والمسالك (١:ص١٦٨-١٦٩).

وعليه فقد اعد الحصري أن العلاقة بين العلم والأخلاق علاقة متداخلة وقوية وان كليهما ضروريان للحياة الاجتماعية، وان قوة الأمم وتقدمها لا تقاس بعظمة وسمو أخلاقها أو علومها كلٍ على انفراد، وإنما يقاس بقوة الأخلاق والعلوم في آن واحد. كما اعتقد بان الأخلاق لا يمكن إن تتقدم ولا تصل إلى أعلى درجات السمو إلا بسبل وروح العلم والفكر المتطور (١:ص١٧٠).

نظرته للإنسان:

كانت نظرته للطبيعة الإنسانية تمثل طابع ذلك العصر فقد اختلفت النظرة إلى المتعلم والمدرسة والمجتمع ودورها في إحداث التغيرات، فعلى المعلم أو المربي إن يكون ملماً بجوانب الطبيعة البشرية وذلك لأهميتها في تحديد أساليب التدريس وانتقاء المواد التعليمية والثقافية ووضع المناهج واتخاذ القرارات وإصدار الأحكام العلمية والتربوية (٢:ص١٧٠).

وقد اعّد الحصري الطفل بأنه المحور الأساسي في العملية التربوية، والإنسان مخلوق عاقل اجتماعي مدني بالطبع، وان لدى كل إنسان حب النفس وحب الغير والارتباط بالمجموع وان الاجتماعية عند الإنسان

تختلف من فرد إلى أخر ومن شعب لآخر. والإنسان يحب السعادة وينزع إليها وهي مثله الأعلى، والسعادة هي محصلة الحياة الانفعالية. والسعادة في نظره هي الميل إلى التلذذ المصحوب بالحركة والنشاط.

والطفل في نظره يولد هو فردي النزعات لا اجتماعي في بداية أيامه الأولى ولكن يصبح اجتماعياً عندما يبدأ باكتساب القيم والعادات الاجتماعية تدريجياً من البيئة المحيطة به في البيت والمدرسة والمجتمع.

واعتقد أن السنوات الست الأولى من أهم وأخطر مراحل حياة الإنسان لأنها المرحلة التي تشكل فيها حياته النفسية والسلوكية الخلقية والاجتماعية وهي مرحلة تكوين المزاج العقلي (١:ص١٦٩).

وهو ليس مع الرأي القائل بان نفس الطفل لوحة ملساء وبيضاء يستطيع المرء أن ينقش عليها ما يشاء وكما يشاء، حيث شبّه الطفل بالمرآة الناصعة الصافية، وان عقله كصفحة بيضاء خالية من الميول أو القوى الفطرية، وان الطفل يستمد معرفته من العالم الخارجي (٣:ص١٦٨-٢٠٧) .

لكن بعض الفلاسفة كانوا يعتقدون بان الطفل يولد وعقله خال من أية معان أولية وأفكار فطرية، بل انه يشبه الصفحة البيضاء، فالإحساس سابق على التفكير وان كل شيء يبدأ في الحس وينتهي في العقل (٢٩:ص٣١٨) .

لكن الحصري خالف هؤلاء وقال: بأن الطفل يمتلك مجموعة من الاستعدادات والميول الفطرية، كما اعتقد بان الأطفال مزودون بقدرة نفسية وقدرة مادية، ولذلك تميزهم بالفروق الفردية وسرعة واعتدال المزاج والانفعال.

مفهوم الثقافة ووحدة التعليم:

لقد تحدث وكتب الحصري الكثير عن الثقافة وعدها التفكير وأسلوب العمل والإحساس لدى أمته ، فالثقافات تتأثر فيما بينها ولكن بصورة بسيطة كما أنها تتأثر بالحضارة وتطورها. والحضارة أكثر شمولاً وأوسع مجالاً من الثقافة ولكن لها اتصالاً قوياً بمعنى الثقافة، والحضارة ليس من نتاج أو جهود امة واحدة بل هي نتيجة تظافر جهود عدة أمم ودول مختلفة وتتجلى الحضارة أكثر في العلوم والاختراعات والصناعات وبذلك فهي تشمل جميع مآثر الحياة المادية والفكرية والخلقية عند الأقوام، ولذلك أشار طه حسين إلى وجود ثقافة مشتركة نشأت بين مصر وشعوب البحر المتوسط (٢٨:ص١٣). لكن الحصري يرفض وجود ثقافة مشتركة بين عدة أمم أو شعوب مختلفة، ولذلك لارتباط معنى الثقافة عنده بفنون ولغة وآداب امة واحدة تتميز بها عن سواها من الأمم الأخرى. أما بخصوص وحدة التعليم عند الحصري تعني الموازنة بين توحيد الأسس والاتجاهات في المناهج وبين تنوع المفردات وطرق التدريس ومعاهد التعليم ولذلك وضع الحصري ثلاث طرق اعتقد بأنها تحقق وحدة التربية والتعليم في البلاد العربية وهي:

١. تنوع المدارس / أي إنشاء مدارس ذات اختصاصات مختلفة.
٢. تفريع المدارس / أي وضع فروع متعددة داخل المدرسة الواحدة.
٣. تكييف المناهج / أي وضع منهج عام لجميع المدارس يتصف بالتكيف والمرونة ويحقق متطلبات البيئة.

كما انه يؤكد على وضع منهج أساس عام لجميع المدارس الابتدائية في الأقطار العربية لكنه يرى شرط أن يتميز هذا المنهج بالمرونة في اختلاف طرق التدريس. وألقى المسؤولية على المعلمين أثناء اختيار

طريقة التدريس والاستفادة من البيئة المحلية حيث يبدأ التدريس أولاً من محيط المدرسة ثم الانتقال تدريجياً إلى بيئات المدن والقرى المجاورة ثم العاصمة ثم الأقطار العربية والدول الأجنبية حسب أهميتها وعلاقتها بذلك القطر.

واعتقد بان هذا الاختلاف بطرق التدريس هو تكيف لحاجات البيئة الطبيعية والاجتماعية وتلبية حاجات التلميذ ومراعاة قابليتهم واستعداداتهم.

وقد حدد أسباب التباين والاختلاف في النظم التربوية والمناهج التعليمية يعود إلى أسباب سياسية والسيطرة الاستعمارية.

كما أن الحصري عارض اقتباس أي نظام تربوي بهيئته الكاملة لاعتقاده بان هذا النظام قائماً بذاته ومصمم لبيئته التي ينتسب إليها (٢٣:ص٧٩).

وان النظام التعليمي يحقق أهداف وغايات معينة مرتبطة بمجموعة من التقاليد والقيم والعادات الاجتماعية.

والنظام التعليمي الذي ينقل إلى أي بلد معين فانه يطبق بمعزل عن الظروف الأصلية التي نشأ فيها، فان هذا النظام التعليمي سوف لا يعطي الثمار المتوخاة كما في بيئته الحقيقية (٢٣:ص٤٨-٤٩).

كما نبه الحصري إلى عدم الاقتباس العشوائي بل على أساس التأمل والتكيف القائم على الدراسات العلمية، وعليه فقد نصح ببناء نظام تعليمي منبثق من حاجات الأمة الأساسية واصفاً في الاعتبار خبرة وتجارب الأمم التي سبقتنا في تشكيل نظمها التعليمية.

فكر الحصري التربوي:

بما أن التربية عملية اجتماعية واسعة في غاياتها، تتأثر بأهداف المجتمعات وبطبيعة الظروف الزمانية والمكانية التي تعيشها الأمم.

لقد اخضع الحصري بعضاً من جوانب العملية التربوية للتجريب والتطبيق العملي كان منها طرائق التدريس وتعليم القراءة، فطرق التدريس على أنها عمل فني وعلمي تتطلبه ضرورات التعليم، فنجاح المعلم في مهمته وتمكنه في مادته العلمية ليس كافياً بل عليه أن يجيد تطبيقها في الموقف التعليمي ويحقق الأهداف وذلك عن طريق خلق المواقف التعليمية ويحقق الأهداف وذلك عن طريق خلق المواقف التعليمية والتربوية المرغوبة، أما بخصوص اهتمامه بطرق تعليم القراءة للصف الأول الابتدائي فترجع إلى أهمية تقديره للغة العربية وهي اللغة القومية وحذف اللغات الأجنبية التي قد تسبب بعض المشكلات للطلبة في بداية تعلمهم ولذلك اهتم بالكثير من المبادئ الأساسية في هذا المجال ومنها:

أصول التدريس:

بما أن هدف العملية التربوية هو هدف تربوي واجتماعي يسعى إلى التغيير والتعديل في سلوك الأفراد، والمدرسة هي المؤسسة الوحيدة التي تتحمل عبء هذه المسؤولية وقد اهتم الحصري بالتطبيقات العملية التي اهتم بها وخصوصاً عند توليه إدارة دار المعلمين العالية في اسطنبول وقد ادخل مادة طرق التدريس لأول مرة في مناهج المعهد، وعند عودته للعراق أخذ على عاتقه التعريف بأصول التدريس وأهميتها

واصدر جزئيين في أصول واهم طرقه ، حيث وضع بعض الأسس والقواعد التي تعتمد عليها أصول التدريس فمنها المبادئ العامة والقواعد العامة . ومن هذه الأسس:

١. الاهتمام بتوضيح وفهم الدروس قبل حفظها واستظهارها.

٢. يجب أن تكون الدروس ملائمة لقابليات التلاميذ واستعداداتهم.

٣. تعويد الطلاب التفكير الذاتي والمشاركة الفعلية أثناء الدرس.

٤. تقوية الأحاسيس والعواطف وتنمية الصفات الخلقية القويمة.

٥. الاستفادة من المدرسة في تقوية العادات الاجتماعية. (٢٦: ص٢٢-٣١).

أما بخصوص القواعد العامة فكانت تعتمد على بعض المبادئ منها:

١. يجب أن تكون المعلومات متدرجة وتبدأ من السهل إلى الصعب.

٢. يجب أن يكون التعليم أولاً من الأشياء المحسوسة إلى الأشياء المجردة.

٣. يفضل أن يكون الدرس مشوقاً مرغوباً من قبل التلاميذ.

٤. أن يكون التعليم كلياً أولاً بعدها الوصول إلى الجزئيات.

٥. يفضل أن يرتبط الدرس بالدرس القديم والدرس الجديد من اجل التوصل إلى سلسلة علمية.

٦. لابد من متابعة التطور العلمي وتفسير كل هذه الظواهر العلمية.

٧. التعرف على فوائد كل درس وما هي أسباب دراسته.

((أما بخصوص طرق التدريس الأساسية))

هناك طريقتان مهمتان وهما:

١- طريقة الاستقراء: والتي تسير بالدرس من الجزء إلى الكل، ومن إعطاء الأمثلة وصولاً إلى القواعد الشمولية وقد تسمى أيضاً الطريقة التركيبية.

٢- طريقة الاستنتاج: وهي عكس الطريقة الأولى أي البدء بالدرس من الكل والقواعد الشاملة إلى التدرج الجزئي، أي السير بالدرس من الكل إلى الجزء وقد تسمى الطريقة التحليلية (٣٢:ص٥١-٦١).

وهناك صور الإلقاء أو التقدير التي تعد المعلم هو محور الدرس وهو الذي يقوم بشرح الدرس وتفهيم المواد للطلبة، أما دور الطلبة فهو الإصغاء والانتباه وفهم ما يلقيه عليهم من معلومات. أما صور التكثيف والتي تعد الطالب هو محور الدرس وأداته المتحركة والتي يسعى إلى تحريك أذهان الطلبة واستنباط القواعد، والمعلم عليه أن يختار الأسئلة المطروحة وصولاً إلى الإجابات الصحيحة وفهم الدرس من تلقاء أنفسهم (٣٢:ص٦١-٦٧).

حيث عمل الحصري من خلال اهتمامه بطريقة التدريس وأصولها على إشاعة طريقة (هربرت) ذات الخطوات الخمس في طرق التدريس والتي تعتمد على الخبرة الحسية والتأمل في طبيعة الأشياء لغرض تنمية القدرات الفطرية العقلية والجسمية لدى التلاميذ بواسطة الجهاز العصبي الذي بدوره يساعد على تشكيل الحياة العقلية عند الأفراد.

وكان يقوم بتشخيص احد المعلمين وتكليفه بإقامة درس تدريبي ويحضره معلمين تلك المادة بحضور التلاميذ، وبعد إنهاء الدرس يخرج الطلبة وتبدأ المناقشة من قبل المعلمين والمعلم الذي قدّم الدرس وبحضور الأستاذ الحصري للتوصل إلى إعطاء القرار الأخير. حيث حدد الحصري خطوات طريقة التدريس التي يتبعها الآن الكثير من المعلمين والمدرسين وهذه الخطوات هي:

١. المقدمة ٢. مادة الدرس ٣. الإلقاء طريقة تقديم الدرس

٤. الاستجواب أي التعرف على مدى استيعاب التلاميذ للدرس ٥. وسائل الإيضاح

٦. استعمال الكتاب ٧. تلخيص الدرس ٨. الواجبات التحريرية.

أما بخصوص تعليم اللغة العربية والتي كانت تخص قراءة الصف الأول الابتدائي فقد أعدها مفتاح التعليم لأنها تساعد التلميذ بانتقال الذهن من الحروف والأشكال التي تقع تحت الأنظار إلى الأصوات والألفاظ التي تدل عليها وترمز إليها (٣٢:ص١٢-١٦).

حيث أكد على التعليم حسب القاعدة التي استخدمتها وهي تعليم المفردات والحروف من المعلوم والسير به إلى المجهول أي وضع الصور والمجسمات ثم الأصوات ولذلك اعد الطريقة الصوتية التي تبدأ بتعليم الكلمات ثم المبادرة إلى تحليل مكوناتها وأجزائها (٨:ص١٠).

وان تعليم الأسماء والحروف، فلا تدّرس إلاّ بعد إتقان قراءة وكتابة الحروف والجمل بصورة جيدة.

واعتقد بان الطريقة الجملية (البصرية أو الكلية) تكون نافعة ومفيدة مع البلهاء والمتأخرين عقلياً لأنهم ضعفاء العقل ولا يستطيعون التحليل أو التركيب وتفيد هذه الطريقة الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد (٣٢:ص٤٨-٥٥).

الحصري والتطبيقات التربوية التي أدخلت على النظام التربوي العراقي:

بعد أن سيطر الاحتلال على جميع أنحاء العراق بعد الحرب العالمية الأولى فقد طبق عليه نظام تربوي مفروض كما فرض على مصر قبل ذلك، حيث كان هذا النظام ثنائي أي يحتوي على مدارس أولية مدة الدراسة فيها أربع سنوات خاصة بسكان القرى والأرياف وكان منهجها خاص. أما المدارس الابتدائية وهي ذات السنوات الست فقسم هذه السنوات الست إلى جزئين السنتين الأوليتين سميت (السنوات الأولية) أما السنوات الأربعة المتبقية سميت (السنوات الابتدائية). حيث مهمة السنتين الأوليتين تزويد التلاميذ بقدر من خبرات القراءة والكتابة ، أما السنوات الأربعة المتبقية مهمتها التوسع بالمعلومات الأساسية لغرض إعدادهم للمرحلة القادمة. لكن الحصري قلب هذا التصميم فجعل السنتين الأوليتين أربعة سنوات والمدرسة الابتدائية ذات الأربع سنوات لمدة سنتين (٢٥:ص١٥-١٨). بعدها حقق الحصري توحيداً لهذه السنوات وسماها المدرسة الابتدائية ذات السنوات الست. تنفيذاً لمبدأ المساواة والعدل والديمقراطية وإتاحة الفرص للجميع بالتعليم بغض النظر عن المكانة الاجتماعية أو الطبيعية أو الاقتصادية، كما حدد السنة الخامسة لتعليم اللغة الانكليزية بعد إن كانت مقررة من السنة الثالثة. كما أضاف مادتي المعلومات الأخلاقية والمدنية ومادة النشيد إلى الدروس الأسبوعية، ولذلك أكد على المدرس أن يعرف كيف يختار المباحث المهمة والمفيدة للطالب، واختيار انسب الطرق لإيصال المعلومات إلى أذهان التلاميذ وان لا يكون التلاميذ مجرد مستمعين بل

مناقشين، وان يكون التدريس من المعلوم إلى المجهول ومن السهل إلى الصعب وان تكون الدروس على شكل سلسلة احدها يقوي الأخر (٢٤: ص٣).

كما أن الحصري قام بدراسة النظام التعليمي السوري وأبقى مدة الدراسة الابتدائية خمس سنوات وسمى السنوات الأربع الأولية حلقة كاملة اسمها (المدارس الأولية) والسنة الخامسة مكملة لها. كما حذف تعليم اللغة الفرنسية من كافة سنوات التعليم الابتدائي، وأعطى الحق لوزارة المعارف في فتح صف خاص لتعليم اللغة للتلاميذ الذين ينهون الدراسة ولمن لا يرغبون في مواصلة دراستهم الثانوية. كما مدة الدراسة في المدارس الثانوية ست سنوات بدلاً من سبع سنوات، وكانت مهمة وزارة المعارف الأساسية هي (تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية لينشأ كل فرد من أفراده قوي البدن حسن الخلق وصحيح التفكير محباً لوطنه معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته مزوداً بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الإنتاجية) (٢٣: ص٢٦٥).

كما حذر المدارس الأهلية من تقبل إعانات من مصادر أجنبية دون علم وزارة المعارف، كما جعل المدارس الأجنبية الفرنسية خاضعة لمراقبة وزارة المعارف السورية، وان تكون الامتحانات العامة شاملة لكافة أنواع المدارس رسمية كانت أو خاصة. كما فرضت على المدارس الأجنبية تدريس مادة اللغة العربية وتاريخ العرب، ومنعت الامتيازات الخاصة لشهادات هذه المدارس.

استنتاجات البحث:

أن الفكر الإنساني هو فكر متوارث يرتبط بتراث الماضي وبحضارة وثقافة الحاضر، كما يمهد ويساعد في تشكيل وبناء المستقبل. كما انه يخضع للعديد من أساليب التعديل والتهذيب والحذف والإضافة.

لقد كان لآرائه التربوية صدى واسع في الجوانب التربوية وذلك لأنها نابعة من الواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للمجتمع العربي.

كانت بداياته الفكرية والعلمية مهتماً بالرياضيات والظواهر الطبيعية والعلوم العصرية الصرفة. فقد كان لأسرته الفضل الكبير في تعليمه داخل الأسرة وبعيداً عن المدارس وتأثيراتها السياسية، فقد كانت مناهج هذه المدارس تعاني من الجمود والتخلف علاوة على خلوها من وسائل الفاعلية والنشاط والابتكار الفكري.

كما أن دراسته في المدرسة الملكية الشاهانية التي كانت مدرسة خاصة اهتمت بالعلوم والإدارة والاقتصاد والإعداد لإشغال الوظائف الحكومية في البلاد.

كما انه اهتم بمفهوم القومية العربية وأكد على اللغة والتاريخ باعتبارهما من الروابط الأساسية بين أبناء الشعب العربي في حين لم يؤكد على الدين بنفس الدرجة. وان انشغاله بمهنة التدريس يسرّت له فرصاً أكثر تخصيصاً في مجال البحوث والدراسات حيث وسّعت بصيرته وعقله ولذلك نشط في مجال التأليف التربوي، وان زياراته وسفراته المستمرة زودته بالخبرة والاطلاع على اتجاهات وأفكار أبناء تلك الشعوب ومشاركتهم بشعورهم القومي ونزعاتهم إلى الثورة والمطالبة بالتحرر والاستقلال . ولذلك تأثر بالحديث من العلوم وكانت نزعته مواكبة للتقدم العلمي ومسايرته وما إصداره لمجلة تربوية كانت تحتوي في صفحاتها أهم الجوانب التربوية الحديثة من نشاطات وابتكارات علمية وخصوصاً في الجوانب التربوية . كما انه أكد على

وحدة الأمة العربية لكونها تتحدث بلغة عربية واحدة وارتباطها بتاريخ وتراث حضاري وثقافي واحد . كما ساهم في إصلاح النظام التربوي العراقي والسوري والتخطيط لتوحيد النظام التربوي العربي تحت راية الجامعة العربية. ولذلك كانت دعواته المتكررة لتحضير واستنهاض الجيل الجديد وصولاً إلى المجتمع الراقي ورفض صور الواقع العربي وأشكاله السلبية المتردية.

كما انه حمل المدرسة مسؤولية القيام بأعباء التربية الاجتماعية والإعداد لها.

وأما بخصوص التحدث عن مستوى ذكاء الفرد العربي كان هناك تشكيك بقابليات وقدرات وطاقات الفرد العربي وحدود ذكائه، وما دام هكذا فلا بد من الوصايا والحماية على هذه الأمة التي تفتقر لأهم عناصر وجودها، ألا وهو قدرتها الذكائية، فمن هذا التقدير الخاطيء لذكاء الفرد العربي، يبادر الحصري إلى جمع ودراسة وتصنيف الاختبارات العقلية التي عرفت آنذاك ويقوم بتطبيقها على العينات المطلوبة، وبعد فرز وتحقيق نتائجها، يعقد الحصري مقارنة بين نتائج تطبيقاته وبين نتائج تلك الاختبارات على المجتمعات الغربية، ثم يعلن لتلك الأوساط الاستعمارية أن ذكاء الفرد العربي لا يقل عن ذكاء أقارنه من الأوربيين، إن لم يكن أعلى منهم في بعضها.

أما بخصوص تأسيس وبناء جامعات ومعاهد في الوطن العربي يقول: (أن العبرة ليست في فتح أو تأسيس المدارس والجامعات التي يفتقر إليها الوطن العربي بقدر ما يكون هناك مبررات تربوية لإعداد الطلبة الواجب توفرهم لتلك المدارس من حيث الكم والنوع).

إن الفكر التربوي للحصري مّر في مرحلتين: الأولى مرتبطة بوجوده في الدولة العثمانية وقد تميزت بالإصلاح والتحديث التربوي والتعليمي. أما المرحلة الثانية تتعلق بفترة وجوده في البلاد العربية التي التزم بها بالخط التربوي القومي العربي المتأثر بالاتجاهات التربوية العربية العصرية.

وأكد على أهمية المعلم وإعداده إعداداً تربوياً وكذلك بناء المناهج بشكل متناسق ومتوافق مع مستويات الطلبة وحسب قدراتهم العقلية.

الحصري تأثر بالتراث الإنساني وحقائقه التربوية والفلسفية، وان فكره لم يكن يتصف بالاستقلالية أو الذاتية بل هو فكر سبق الكثير من رجالات التربية والتعليم في القول والعمل، بل تأثر كثيراً بالمفكرين الغرب ولم يتأثر كثيراً بالمفكرين وبالفكر العربي الإسلامي التربوي، لان آراءه وأفكاره خالية من تعاليم وآراء المربين العرب والمسلمين، بل كانت أفكاره ونظرياته مأخوذة من آراء وأفكار المربين والفلاسفة الغربيين.

التوصيات: في ضوء نتائج البحث الحالي يوصي الباحث ما يأتي:

١. دراسة بعض المفكرين العرب الذين ينادون بتطبيق أنظمة تربوية موحدة.

٢. دراسة النظم التربوية للوطن العربي لكي نتعرف عن نقاط الالتقاء والابتعاد ومحاولة تجاوزها عند بناء فلسفة موحدة.

الاقتراحات: في ضوء نتائج البحث الحالي يقترح الباحث ما يأتي:

١. إجراء دراسة عن بعض المفكرين العرب والمسلمين لإبراز أفكارهم التربوية.

٢. إجراء دراسات مقارنة بين أفكار الحصري وبعض المفكرين الآخرين من العرب.

٣. إجراء دراسة تقويمية للفكر التربوي لساطع الحصري ومدى ملاءمته للنظام التربوي القائم حالياً.

المصـــــــــادر

. * القران الكريم

١. أبن منظور ، لسان العرب / ٥ / ١٩٥٦ م.

٢. أحمد ، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، دار الهنا للطباعة عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٩٧٠ .

٣. أمين، أحمد، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، السلسلة الفلسفية، ج١ ، ج٢ ، ١٩٣٦ م.

٤. برج، محمد عبد الرحمن، ساطع الحصري، الهيئة العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، رقم ٨٦، ١٩٦٩ م.

٥. جمال الدين، نادية، فلسفة التربية عند أخوان الصفا، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٤ م.

٦ . الجمالي، محمد فاضل، الفلسفة التربوية في القرآن الكريم، دار الكتاب الجديد، تونس، ١٩٦٦م.

٧. حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، ج١، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٣٨م.

٨. الحصري، ساطع أبو خلدون، دروس في أصول التدريس، ج٢، أصول تدريس اللغة العربية، دار غندور، طبعة موسعة، بيروت، ١٩٦٢ م.

٩ـ الحصري، ساطع أبو خلدون، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، القاهرة، دار الطباعة الجديدة، ١٩٥١ م.

١٠. الحصري، ساطع أبو خلدون، صفحات في الماضي القريب، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٨ م.

١١. الحصري، ساطع أبو خلدون، أحاديث في التاريخ والاجتماع، بيروت، مطبعة كرم، ط٢، ١٩٦٠م.

١٢ـ الحصري، ساطع أبو خلدون، دروس في أصول التدريس، ج١ ،الأصول العامة، بيروت، مطابع دار الكشاف، ط٢، ١٩٥٦م.

١٣. الحصري، ساطع أبو خلدون، تقارير عن حالة المعارف في سوريا، واقتراحات إصلاحها، دمشق، سوريا، وزارة المعارف، مطبعة الجمهورية، ١٩٤٤م.

١٤ـ الحصري، ساطع أبو خلدون، مجلة التربية والتعليم، مجلد ١، ٤ ، مطبعة الآداب، خمس مجلدات، الأجزاء، ٣٢.١ ، لسنة ١٩٢٨ ـ ١٩٣١، القاهرة، ١٩٣٠م.

١٥. الحصري، ساطع أبو خلدون، أحاديث في التربية والاجتماع، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦١م.

١٦. الحصري ساطع أبو خلدون، نقد تقرير لجنة مونرو، رسائل موجه إلى الأستاذ بول مونرو حول التقرير الذي قدمه إلى وزارة المعارف العراقية باسم لجنة الكشف التهذيبي، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٣٢م.

١٧ـ الحصري، ساطع أبو خلدون، مذكراتي في العراق ١٩٢١ـ ١٩٤١ ، بيروت، منشورات دار الطلبة للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.

١٨. الحصري، ساطع أبو خلدون، حولية الثقافة العربية، ج١، القاهرة ، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية ، مطبعة الآداب، ج١، ١٩٥٠م.
١٩. الحصري، ساطع أبو خلدون، منهج الدراسة الابتدائية لمدارس الحكومة العراقية، بغداد، مطبعة الفرات، وزارة المعارف، ١٩٢٦م.
٢٠. الحصري، ساطع أبو خلدون، دراسات في مقدمة ابن خلدون، القاهرة، الطبعة الموسعة، ١٩٦٧م.
٢١ـ الحصري، ساطع أبو خلدون، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣ ، ١٩٥٦م.
٢٢. الخطيب، عدنان، فقيد العروبة الأستاذ ساطع الحصري، دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٣، المجلد ٤٤، تموز، ١٩٦٩م.
٢٣. الدجيلي، حسن، تقدم التعليم العالي في العراق، دراسة قائمة على الوثائق والمستندات، بغداد، مطبعة الرشاد، ١٩٦٣م.
٢٤. الرازي، محمد بن أبي يحيى، مختار الصحاح، الكويت، دار الرسالة، ١٩٨٣م .
٢٥. الراوي، مسارع حسن، نحو إستراتيجية جديدة للتعليم في العراق، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٩٧٤م.
٢٦. الراوي، مسارع حسن، مفاضلة بين الطريقة الصوتية والجملية في تعليم المبتدئين، بغداد، ملحق مجلة المعلم الجديد، مطبعة وزارة التربية، ١٩٦٧م.
٢٧. الزهيري، عبد الكريم محسن، رفاعة رافع الطهطاوي مفكراً تربوياً، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، الأنبار، جامعة الأنبار، العدد الأول، ٢٠٠٤م.
٢٨. الزهيري، عبد الكريم محسن، الفكر التربوي في حياة الشيخ محمد عبده، مجلة الأستاذ كلية التربية، جامعة بغداد، العدد، ٤٧ ، ٢٠٠٢م.
٢٩ـ الزهيري، عبد الكريم محسن، الفكر التربوي في العراق خلال القرن العشرين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٣م.
٣٠. عفيفي، محمد الهادي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، القاهرة، المطبعة الفنية الجديدة، ١٩٧٤م.
٣١. علي، سعيد إسماعيل، الفكر التربوي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
٣٢ ـ مرسي، سعيد احمد، تطور الفكر التربوي، دار الهنا للطباعة، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.